مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانَة العامّة للعتبة الحُسَيْنيّة المُقدّسة
مُؤسّسة عُلوم نهج البلاغة

السنة الرابعة – العدد التاسع

ربيع الأول ١٤٤١هـ – تشرين الثاني ٢٠١٩م

التوظيف الدلالي لغير العاقل
(الحيوان) في نهج البلاغة

The semantic employment for animal in Nahj-Albalaga-ghah.

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية

Asst Howrah Kazem Jawad Al- Khuzai
University of Karbala
College of Islamic Sciences

ملخص البحث

درس هذا البحث الدلالة في نهج البلاغة؛ لما في هذا الكتاب من خصائص وصفات في توليد الدلالة بتماثل حي واعي، وقد شكل هذا التماثل بعداً جمالياً؛ لكونه يحول المعنى إلى نسقٍ يستند إلى التأثير الذي تمثله الدلالة. وقد اعتمد هذا البحث في تحقيق مبتغاة على مبحثين: الأول، تمَّ فيه النظر إلى الأساليب الدلالية بتقسيمها على قسمين:

الأول، الأساليب البرهانية، وهي التي لا تعالج القضايا الطبيعية للحالات الممكنة البسيطة والمرنة؛ بل تتخصص في المجالات المعقدة من حيث بنية أنظمتها المعتمدة على الاستدلال البرهاني.

والثاني، الأساليب الاستدلالية الطبيعية، وهي التي تمتلك فعالية تداولية قائمة على الاقناع لأثبات دعوى أو ابطالها.

وأمّا المبحث الثاني، فقد اختصَّ بدلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أنَّ الاستشهاد بالحيوان له دلالة تعبيرية قريبة من فهم المتلقي العام بما يتناسب واختلاف البنى الفكرية من أجل خلق تأثير متواصل يؤهله للمعنى المثالي. وقد خُتم البحث بجملة من النتائج التي توصَّل إليها البحث ثمَّ بقائمة ضمَّت المصادر والمراجع.

Abstract

The introduction of the concept of connotation at first as a logical model that exist in the Greeks thought in the first break through then it generated interest after the contemporary linguistic developments depending on concept and technique.

So the symbolism witnessed the reasoning model introducing is decided on issues in order to get results.

The research dealt with (in the first part) connotative styles division into two parts: firstly demonstrative styles that don't address natural issues to flexible, simple and possible cases rather, there are complex areas through it's cognitive components that depending on exclusive demonstrative. Secondly the natural evidentiary styles which had effective deliberative and it's intellectual natural is multifaceted for convincing based on achieving conclusions. The results are not merely a declaration or disclosure. The evidentiary self have a role in the speech to prove or avoid an action. While the second part dealt with the significance of animal in Nahj-al-Balaghah.

So using animal in cite has expressive significance would be understandable to the recipient in proportion to the difference of intellectual constructs to create a continuing impact qualifies it as meaning to stay.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء على ما قدَّم، فعلَّم الإنسان ما لم يعلم، وميّزه على سائر خلقه، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث أفضل من تأخر برسالته ومعجزته القرآن الكريم الذي ضم أروع الأساليب البيانية وأجلَّ الخصائص البلاغية التي سيطرت على الملكات الأدبية واجتذبتها حتى ورد في قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

فقد أثَّر هذا الكتاب المقدس في اللغة العربية وترقيتها ونشرها في بقاع مختلفة من الأرض وحافظ على ديمومتها، فبفضل القرآن الكريم توصل الإنسان إلى علوم شتى في اللغة كالنحو والصرف والتفسير والفقه والأصول، لقد كرم الله الإنسان وخصهُ بخصائص تفرد بها عن سائر الكائنات ومنها خاصية اللغة التي تشكل وسيلة من وسائل التفاعل بين بني البشر، فهي أساس الحضارة الإنسانية ولولاها لما استطاع الإنسان الحفاظ على الحضارة والتراث وتمازج الثقافات المتنوعة، فهي التي تحفظ للأجيال القادمة عصائر الأفكار وحضارات الأمم، وقد شغلت اللغة تفكير العلماء وحظيت باهتمامهم فدرسوها ووضعوا لها أصولًا وقواعد مقننة شأنها شأن الدراسات الإنسانية والاجتماعية الأخرى، فأصبحت تدرس من جوانب متعددة دلالية وأسلوبية ونحوية وصرفية وصوتية[2]؛ ولذا فإنَّ القرآن على درجة عالية من البلاغة؛ لأنهُ يخاطب أذهانًا تسمع وعقولًا تعقل وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٣] وفي آياته تحدٍ للإنس والجن في أكثر من موضع بالإتيان بمثله ولو اجتمعوا، فهنا وقفة قد لا تطول بأن عظمة هذا الكتاب متجلية أولًا وآخرًا بما يحمله من بلاغة وفصاحة وقوة حجة ونحن بصدد دراستنا لكتاب نهج البلاغة هذا العنوان المرهف نجد أن ما يحمله من إعجاز بلاغي جعله الكتاب الثاني بعد القرآن الكريم إذ يقول (عليه السلام) فيهِ «اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ»[٤] والذكر هو القرآن الكريم كما ورد في قوله من سورة إبراهيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥] والإمام علي (عليه السلام) إنما جعل الحمد مفتاحًا للذكر لأن أول كتاب الله سبحانه ﴿اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦].

وقد ارتأيتُ دراسة دلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أن الحيوان شغل حيزًا كبيرًا من هذا الكتاب فأذهلني وصفه لدقائقهِ واتخاذهِ (عليه السلام) منهُ مثلا يُضرب في أكثر من موضع تعزيزًا لحجته على العباد أما الجانب الدلالي لما له من علاقة كبيرة بمجال تخصصي في اللغة العربية.

وقسمتُ بحثي هذا على مبحثين يسبقهما التمهيد الذي تحدثتُ فيهِ قليلًا عن نشأة الدلالة وأبرز من كتب فيها، وجاء المبحث الأول عن علاقة أمير المؤمنين بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «يا علي... ولا عرفك إلا الله وأنا».

أما المبحث الثاني فكان الأساليب البلاغية ودلالتها الحيوانية وأخيرًا الخلاصة والخاتمة.

التمهيد

يزخرُ الموروث الديني بكنوز نفيسة لابد من استلهامها وتسليط

الضوء عليها فهي تمثل انعكاسًا ورؤية تفصيلية لجوانب الحياة في مختلف العصور؛ لاستخلاص ما يمكن أن يخدم قضايا الأدب والنقد، فهي تلزم الإنسان الرسالي في ترتيب حياته الفردية، والاجتماعية، والأخلاقية والتاريخية، فكتاب نهج البلاغة يمثل كلام أفصح الخلق بعد الرسول محمد (ﷺ) لأنه أحتوى على حقائق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر، وهذا الشيخ محمد عبده المتوفى ١٣٢٣هـ يقول: «تأملتُ جملًا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات فكان يخيل لي في كل مقام أن حروبًا شبت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأنا أجد في جملة ما اختاره الشريف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) السمو بالدلالة في اختيار المعنى اللائق»[٧].

فمفهوم الدلالة بدايةَ كنموذج منطقي وجِدَ في التفكير اليوناني الذي يمثل انطلاقته الأولى، إذ أثار الاهتمام بعد التطورات الألسنية المعاصرة معتمدًا على المفاهيمية والتقنية، ثم شهدت المدارس الرمزية اقتحام نموذج الاستدلال الذي به يتم البت في القضايا بغية الوصول إلى النتائج المستخلصة.

ومصطلح الاستدلال عند أهل اللغة هو واحد من التصورات الإجرائية للمنطق، وهو لا يعني الاستنباط بطبيعة الحال وإنما هو «نسقٌ من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلًا متكلمًا يوجد في سياق ما من اقتراح بمثيلاته لمستمع ما بواسطة الخطاب»[٨].

إنَّ هذا العلم حسب ظن أغلب الباحثين لم يكن للعرب معرفة به فقد نمت أصوله وترعرعت في ضل الدراسات اللسانية الحديثة،

فقد يكون لهذا العلم اليد الطولى في الكشف عن أسسه وأصوله حتى غدا علماً قائماً بذاته بعد أن كان يسيرًا تحت ظل الدراسات اللغوية الأخرى.

وبما أن معرفة المعنى كان الهم الأكبر الذي شغل الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية واتخاذه الاستقراء والاستنباط قاعدة يسير عليها؛ فقد اكتسب هذا العلم الإجلال والاهتمام من قبل الدارسين حتى وصل المطاف بالعلماء القول: «إنَّ كل ما يصلح به المعنى فهو جيد وكل ما فسد بهِ المعنى فمردود»[٩] فعلم الدلالة هو قديمٌ وحديث في آنٍ واحد، فقديم؛ لأن معنى الألفاظ والتراكيب قد شغل أسلافنا من ناحية الوضوح والغموض والصحة وعدم الاحتمال والفساد[١٠] أما كونه مستحدثًا فالفضل يرجع إلى علم اللسانيات، الَّذي وضع نظرياته وطور أصوله وأوضح معالمه، فغدا علمًا قائمًا بذاته بعد أن كان ضمن علوم الفلسفة والمنطق وعلم النفس، فالكلمة حسب رأي المحدثين لها دلالة لا يتضح معناها حتى توضع في تركيب، فتركيب الجمل أهم وحدة من وحدات تركيب المعنى؛ لأنها تخفي بعض معاني الألفاظ ولا تكون ظاهرة، أضف أنَّ فهم المعنى مرتبط باستعماله من قبل المتلقي؛ ذلك أن المعنى المعجمي ليس أساس كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام.

المبحث الأول

علاقة الإمام علي (عليه السلام) بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

«يا علي وما عرفك إلاَّ الله وأنا»

ونحن بصدد دراستنا لهذا النتاج الضخم ليس بحجمه وإنما بمعناه كان لزاما علينا كباحثين من طرح فكرة العلاقة التي تربط شخصية

الإمام علي (عليه السلام) الفذة بشخص النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي علاقة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، وأفضل شاهد على هذه العلاقة هو دستور الأرض القرآن الكريم في آية المباهلة حيث جاء في قوله تعالى ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[11] فالنفس واحدة، والكيان واحد، ومن ثم الأخلاق واحدة، والأهداف واحدة أيضًا، ولا غرابة في ذلك؛ لأنهُ نشأ في حجر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ نعومة أضفاره وتغذى من علمه وعمله.

ولم يزل علي (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعث الله محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيا فاتبعه علي (عليه السلام) وآمن به وصدَّقهُ وكان في السنة الثالثة عشر من عمره ولم يبلغ الحلم بعد، فهو أول مَن آمن وأسلم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الذكور[12] ولازم (عليه السلام) رسول الله حتى الممات،حتى قال يومًا: «**ولَقَد كُنتُ أَتَّبِعُهُ اتِّباعَ الفَصيلِ أثَرَ أُمِّهِ**»[13] فهذا عليٌ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاركه ضد الكفر والطاغوت في بدرٍ وأحد والخندق وخيبر وحُنين وتبوك، فهو صاحب راية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ بقيت مرفرفة رغم ما واجههُ من تخاذل البعض وفرارهم، إلا أنَّ عليًّا هو الدرع الواقي لرسول الله وللمسلمين، فحمل الوسام الأكبر من قبل الرسول إذ برز الإسلام كله إلى الشرك كله.

ولم يحصر الإمام علي (عليه السلام) نفسه بالدعوة فقال (عليه السلام): «**دعاني رسول الله فقال: يا علي إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقتُ ذرعًا وعلمتُ أني متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره**». فدعاهم إلى طعامٍ فاستجابوا له ثم عرض عليهم هذا الدين فاستجاب بعضهم؛ ذلك أنهُ هاشمي الأصل ومن ولد هاشميين، فهذا التكوين

الخَلقي والخُلُقي يجعل منه شخصًا مرغوبًا ولهُ تأثيرٌ في النفوس.

وهناك صفاتٌ كثيرة تحلى بها أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنه مرتبط بالفيض الإلهي وهي جنبة لا يعلمها إلَّا الله وقد نقف عاجزين عن الوصول إلى كنه أسرارها ولنا أن نذكر ما جال منها:

١. العلم: ليس هناك توقف في الينبوع، فتحار العقول في التفتيش، إلا أنها تخضع صاغرة أمامه. إذ تبيَّن لابدَّ للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من خليفة يجمع شمل الأمة ويرعاها، ويحفظ للدين امتداده، ولا يمكن أن يقوم إنسان مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلَّا إذا كان يتحلى بصفات خارقة تؤهله لهذا المنصب الخطير، ولا بدَّ أن يكون علمه شموليًا للمعارف والأحكام والأديان- علمًا حضوريًا- ولا غرابة أن يكو ن عليٌ (عليه السلام)هو ذلك الشخص، فآصف بن برخيا كان عنده حرفٌ واحد وقد أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين فكيف بعلي (عليه السلام)؟ الذي قال: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» فعلم علي كعلم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أي بوساطته وعلم الرسول من وحي الله جبرائيل (عليه السلام) إذ روى الترمذي في صحيحه أنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أَنَا مَدينَةُ العِلمِ وعَلِيٌّ بابُها» فكان الصحابة إذا استشكل عليهم أمرٌ يستشيروه كما ورد في قوله تعالى ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١٤).

٢. الشجاعة: أما شجاعته فهي أوسع من أنْ يُعبر عنها بألفاظ، ويكفي لنا ذكرُ حادثة مبيته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أدرك بسعة الخطر المحيط به، إذ جمع من كل قبيلة رجلًا في خطة لقتله ولكنَّ العناية الإلهية كانت محيطة بشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فهبط جبرائيل وأخبره

أن لا يبيت في فراشه وأذن لهُ بالهجرة، وعندما جاء الليل أتشح عليٌ (عليه السلام) ببردة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونفسه مطمئنة بالإيمان وعندما هجموا على منزل النبي الأكرم سلَّ سيفه فكان يمثل الأيمان كله ومقابله الكفر كله، فمنذ ذلك الوقت تجلت أسمى صور التضحية والشجاعة التي باهى الله بها ملائكته فنزلت الآية الكريمة بحقه في قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[١٥].

٣. الأدب: حدث ولا حرج، فهذا النهج الخالد إنما خُلِّدَ لأنه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه الكثرة في الشروح لم تأتِ عليهِ إلاَّ لأنه إمام المتكلمين، يقول عنه ابن أبي الحديد :«وأما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والبلاغة»[١٦] فكان حاذقاً في مخالطة الناس إنْ عاش معهم حنّوا إليه وإن بعد عنهم بكوا عليهِ، لمحاسن أخلاقه ورفيع آدابه.

٤. المحافظة على الشريعة الإسلامية: ففي كل الأحداث من أول الدعوة وبزوغ نور الإسلام إلى ما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والظروف التي شهدتها حكومته كان (عليه السلام) ناصحًا وموجهًا ومحافظًا ومشاركًا هموم أمته، حتى أنهُ عندما جاءتهُ الخلافة بعد مقتل عثمان كان يقول: «**وَاللهِ ما تَقَدَّمتُ عَلَيهَا [الخِلافَةِ] إلّا خَوفا مِن أن يَنزُوَ عَلَى الأَمرِ تَيسٌ مِن بَني أُمَيَّةَ، فَيَلعَبَ بِكِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[١٧].

المبحث الثاني

دلالة الحيوان في الأساليب البلاغية

وتختلف دلالة الحيوان في كتاب نهج البلاغة حسبَ الأساليب البلاغية وأولى هذهِ الأساليب التي

سنذكرها:

١. **أسلوب التجسيد:** هو حركة إحياء للمواد الحسية الجامدة، وإكسابها صفة إنسانية الإنسان وأفعاله[١٨]، وهو خلع صفات محسوسة على المعنويات.

وقد ورد هذا الأسلوب كثيرًا في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومنها قوله: «**لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ**»[١٩] فقد استعار لفظة (اللَّبس) وهي للمادي المحسوس ووظفها في صورة (الشبهات) وهي المعنوي، وجسدها للسامع في صورة تشبيهيه تدل على الضعف والوهن وهو (بيت العنكبوت)فالصورة دلالة واقعية تصور المتصدي للحكم وليس لديه أهلية كما ورد في قوله تعالى من ضعف نسج العنكبوت ﴿**إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[٢٠] وأيضًا من الصور المجسدة التي أزدان بها كتاب (نهج البلاغة) قوله (عليه السلام): «**لَتَعطِفَنَّ الدُّنيا عَلَينا بَعدَ شِماسِها عَطفَ الضَّروس عَلى وَلَدِها**»[٢١] فالشماس: امتناعها، والضَروس: الناقة السيئة الخُلق تعضض حالبها[٢٢] فجعل (عليه السلام) من الدنيا كائنٌ حي لهُ إحساس وشعور وهي صورة تجسيدية كما هي الفرس. أما دلالة تشبيه الدنيا بالضَروس؛ ذلك أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين كما تعطف الناقة على وليدها وإن أبت على الحالب، وخصت الناقة من بين الحيوانات؛ لأنها عُرِفت بحنينها.

ومن كلماته (عليه السلام) الرائعات التي بثَّ فيها المحسوسات في المجردات، قوله وهو يصف الإسلام «**رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ،**»[٢٣] فجُسِّدَ الإسلام وهو المعنوي المجرد، بأنه جامع الحَلَبة (وهي الخيل التي تُجمَع من كل

صوب للنصرة)فجعلَ للإسلام روحٌ وعزيمة سباقة، فالدلالة التي وضحها (عليه السلام) عن الإسلام هي البصيرة لمن عزم والنجاة لمن صدق، فتوكلت هذه الخيول لنصرته بعد أن زادها ثقةً وبصيرة.

وله في موضع آخر يقول فيه «**وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ**»[٢٤] إذ جعل للدهر صولةٌ وجولة لا تخلو من الإثارة مشبهًا إياه ب(السبع العقور) وقد تبدو هذه اللفظة غريبة بعض الشيء على أسماعنا؛ لأنَّ ما عُرِفَ في المثل عن (الكلب العقور) فربما لأنَّ السبع أقوى وأشجع وأكثر جرأة في خطواته، أما في الكفة الأخرى من المقولة فتجسيدٌ جديد يعزز إثارة السامع في قوله (وهدر فنيق الباطل بعد كظوم) إذ جسَّد الباطل وهو المعنوي بالفحل من الإبل وهو المادي المحسوس، فرغم فحولته وسكونه وإمساكه فقد هُزِمَ أمام قوة الإيمان.

ومن كلامه (عليه السلام) عن مرض الفتنة: «**أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا**»[٢٥] فجعلَ المعنويات في هيئة المحسوسات، عندما جسَّدَ الفتنة وجعلَ لها عينًا، أما دلالة هذا التجسيد وربطهِ بالكلب هو أنهُ بعد انقضاء معركة النهروان وتغلبه (عليه السلام) على الخوارج فهو يصف اشتداد الأمر(بداء الكلب) الذي يصيب الكلاب وكل من عضَّتهُ ينتقل إليهِ فيموت. فهذه دلالة اشتداد الفتنة فما أصابت قومًا إلَّا أهلكتهم كداء الكلاب.

فأسلوب التجسيد الَّذي وفرتهُ لنا الصور الاستعارية والكنائية والتشبيهية، يُعدُّ من أبرز صور البيان العربي؛ لأنه جمع بين المتخالفين

ووفق بين الأضداد وكشفَ عن إيحائية جديدة في التعبير.

٢. **الازدواج**: وهو من أهم عناصر الإيقاع في النص الأدبي، إذ يمثل فقرات نصية متزنة وهو «ينبغي أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرفٍ واحد فيقع التعادل والتوازن»[٢٦].

فكأنَّ الازدواج عنده مرتبط بالسجع أو التوازن بين العبارتين المسجوعتين، وعرفه بن منقذ على أنه «تزاوج بين الكلمات والجمل بكلام عذب، وألفاظ عذبة حلوة»[٢٧] والازدواج فن ذو قيمة جمالية في النثر العربي، يسعى إليه الكاتب في رسائله ويحتاجه كلُّ خطيب، فهو يحاجج أو يشرح أو يدافع عن فكرة ويوضح معناها، فيقرب البعيد ويكشف الخفي ويقدم الدليل وهذا ما لمسناه في كتاب نهج البلاغة، إذ توشَّحت أمثاله به، وازدانت فنًّا يدَّخِرُ نَغَما جميلًا وعذِبًا، يستهوي النفوس فتأنس به، وتطرب إلى إيقاعاته المتزنةُ مستدلًّا بالحيوان في قوله، واصفًا نفسه الشريفة وموقعه في الأمة، ومصورًا حاله في قوله «**يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ**»[٢٨] فهنا وظف الطير فهناك إيقاعٌ موسيقي بين مقطعي الكلام، إذ يولِّد تماثلًا في الوزن والمقاطع الصوتية، إلَّا الاختلاف في الحرف الأخير من الفاصلتين (السيل- الطير) فهو ينتقل من الأسهل إلى الأصعب أي من اللام إلى الراء مع أنَّ الاثنين من أصوات اللين التي تمتاز بوصفها أكثر وضوحًا في السمع من الأصوات الصحيحة، فطريقة تعبيره هذه تؤكد الإيحائية التي وفرتها صفات الأصوات، لأن (الجانب الصوتي قد يؤثر على المعنى)[٢٩] وقال (عليه السلام) وقد جاءهُ نعي مالك الأشتر (رحمه الله): «**مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ!**

لَـوْ كَانَ جَبَـلًا لَـكَانَ فِنْـدًا، لاَ يَرْتَقِيـهِ الْحَافِـرُ، وَلاَ يُـوفِي عَلَيْـهِ الطَّائِـرُ»[٣٠].

ومـن جديـد يـأتي الاسـتدلال بالطير في وصفه لمالك النخعي بكونه (فنـدٌ)، أي الجبـل العظيـم كنايـة عـن رفعتـه وامتنـاع همتـه كـما هـو الطائـر ومـع ذلـك لا يرتقـي إليـه.

وهـذا النـوع مـن الإيقاعـات المتسـاوية يـكاد يكـون واحـدًا في الصياغـة؛ ليحقـق نغـمًا موسـيقيًّا يسـترعي انتبـاه المتلقـي.

وفي معـرض (دلالـة الفتنـة) يقـول (عليه السلام): «كَانَ طَلْحَـةُ وَالزُّبَيْـرُ أَهْـوَنُ سَـيْرِهِمَا فِيـهِ الْوَجِيـفُ، وَأَرْفَـقُ حِدَائِهِمَـا الْعَنِيـفُ»[٣١] فالسـير الوجيـف: هـو ضربٌ مـن سـير الخيـل والإبـل السريـع، أمـا الحـداء: هـو زجـر الإبـل وسـوقها[٣٢] ولـه في وصـف الدُنيـا ومـا آلـت إليـه المناصـب وطـرًا، كـما في قولـه: «فَصَيَّرَهَـا فِـي حَـوْزَةٍ خَشْـنَاءَ يَغْلُـظُ كَلْمُهَـا، وَيَخْشُـنُ مَسُّـهَا، وَيَكْثُـرُ الْعِثَـارُ فِيهَـا، وَالِاعْتِـذَارُ مِنْهَـا»[٣٣] فالعبارتـان الأخيرتـان مزدوجتـان صوتيًّـا ليمنحـان الدلالـة عمقًـا ورؤيـة مسـتقبلية؛ بـأنَّ الدنيـا غليظـةٌ كالناقـة الصعبـة المـراس، وراكبهـا أمـا أن يشـنقها فيخـرم أنفهـا، وأمـا أنْ يستسـلم لهـا فترمـي بـهِ في مهـواة تكـون فيهـا هلكتـه. وهـي دلالـة معـبرة عـن حـال الإنسـان في هـذه الدنيـا أمـا أن يسـيطر عـلى شـهواته وغرائـزه ويتمكـن مـن غوايتهـا، أو يسلس معهـا ويلهـو فترمـي بـه في شرر جهنـم؛ لأنـه ضعـف فسـحقته وهـي دلالـة معـبرة، فـالازدواج أحـدث نَغَـمًا موسـيقيًّا حـين وازن بـين الفقرتـين فأحـدث إيقاعـا موسـيقيًّا متشـابهًا في الصـوت مختلفًـا في المعنـى.

٣. **التكـرار**: والتكـرار في التعبـير الأدبي «هـو تنـاوب الألفـاظ وإعادتهـا في سـياق التعبـير بحيـث يشـكل نغـمًا موسـيقيًّا يتقصَّـدهُ الناظـم في شـعره

والناثر في نثره»[٣٤] وهو أسلوب من أساليب القول عند العرب استعملوه في شعرهم ونثرهم وليس أدل من القرآن على وجوده؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وخاطبهم بما يفهمون، فالتكرار يقوي ويزيد من وحدة العمل الفني، فهناك أواصر مشتركة بين القيم الصوتية لجرس الألفاظ والقيم الفكرية والشعورية إذن لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ التكرار لا يوفر للنص قيمة معنوية فقط، بل يوفر أيضًا قيمة موسيقية يحتاجها منشئ النص لجذب مسامع المتلقي والتأثير فيهِ؛ «لأنَّ تكرار اللفظ يفيد في قرع الأسماع وإثارة الأذهان»[٣٥] فضلا عن القيمة الدلالية للمفردة المكررة.

وهذا القانون الَّذي وفَّر نغمًا موسيقيًّا للنص نجدهُ متحققًا في أمثال نهج البلاغة وخطبها فقد يكون التكرار في حرف كما في قوله (عليه السلام): «**الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّبْسَةِ**»[٣٦] فتكرار اللام ثلاث مرات في موضع واحد ودون فاصل لهُ دلالة إيقاعية؛ لجذب انتباه المتلقي إلى طول العشرة، مع أن العقرب لا تحلو لبسته أي (عشرته)، فالحذر لأنَّ المرأة في إيذاءها كالعقرب.

وقد وجدتُ بعد التفتيش في كتاب نهج البلاغة أنَّ أغلب التكرار هو في مقاطع الأمثال؛ ليحمل في كل موضع دلالة معينة، كما في قوله (عليه السلام): «**كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ**»[٣٧] فقد تكرر المقطع (جؤ) مرتين وفي موضعٍ واحد ومن دون فاصل وهو من المقاطع المغلقة، فأعطى للنص صفة مميزة ومتولدة من تكرار هذه الأصوات وبانتظام في وحدة زمنية قصيرة فهي بمثابة (لازمة موسيقية في النص، تترك أثرا نفسيًا لدى المتلقي، وتشدُّ سمعهُ وانتباهه إليها)[٣٨] ولهُ (عليه السلام) مقطعٌ يصف فيه الخائفين المتخاذلين بأنهم

ينفرون من الحرب «نُفُورَ المِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الأَسَدِ»[٣٩] فلفظة (وعوعة) متكونة من تكرار المقطع الصوتي (وع) الَّذي يتكون من حرف المد الطويل (الواو)، أما العين فهي من الحروف الصحيحة الصامتة، إذ يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): (فأما العين فبين الرخوة والشديدة)[٤٠] هي دلالة التذبذب والتأرجح وعدم الثبات في الكلام.

أما تكرار الألفاظ فهو ليس أقل من تكرار المقاطع، فقد كثُرَ في كتاب نهج البلاغة؛ وذلك لقصدٍ معنوي يقتضيه الموقف كتأكيد لدلالة أو إيضاح لإبهام الذي لا يتم إدراكه إلَّا عبر التكرار اللفظي، ويُعدُّ هذا التكرار حاجة وضرورة ملحة للنص؛ لإثارة انتباه المتلقي، وتوفير المتعة لنفسه وهو تكثيف للصوت وتركيزٌ عليهِ.

كما ورد في قوله (عليه السلام) واصفًا منْ تغيرت طباعه الإنسانية، ولم يبقَ لهُ من الإنسانية إلاَّ الشكل فقط «الصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ»[٤١] فقد كرر لفظة القلب؛ لدلالة معنوية تؤكِّد المعنى وتزيده إيضاحا، إذ أنَّ تكرار الكلمة ومن دون فاصلة: هو طرقٌ على مسمع أثاره هذا الصوت في وحدة زمنية قصيرة، فزاد من تعميق دلالة التجرد الإنساني.

ولهُ (عليه السلام) خطبة في الدعوة إلى نصرة الإخوان يقول فيها: «فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ»[٤٢] فالجرجرة صوت يردده البعير المصاب في حنجرته، أما النضو الأدبر فهو الهزيل من الإبل المجروح، فقد يأتي التكرار والإعادة لإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر[٤٣].

فهذا التكرار في الألفاظ جاء ليُحدث تأثيرًا في النفوس ودلالته

هو أنَّ تباطؤ الإنسان في الخير وعدم اكتراثه بأمر المسلمين يسوقه إلى جهنم من حيث لا يحتسب.

متضمنًا كلامه (عليه السلام) ثلاث صور تشبيهية إذ شبه حالهم حينما أستفزهم فتقاعسوا، مستدركين بكلامٍ غامض، ومعتذرين بأعذار واهية تكشف عن جبنهم وضعفهم بحال الجمل المصاب بقرحة في زوره وهو يردد صوتًا قبيحًا، وبحال البعير المهزول المعقور، وهو ينهض متثاقلًا، ثم حال القلة التي خرجت للحرب في ضعف وتثاقل وتردد بحال جماعة من الناس يساقون إلى الموت سوقًا، وهم يرونه أمامهم رؤية العين[٤٤].

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ كتاب نهج البلاغة قد وصف الحيوانات وصفًا دقيقًا وبأسلوب لم يعرف إلاَّ في العصر العباسي[٤٥].

ويصف (عليه السلام) بيعته في قوله «**فتدكوا عليَّ تداك الإبل الهيِّم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها، وخُلِعَت مثانيها**»[٤٦] فقد شبه حالهم وهم يتراكضون متلهفين على بيعته بحال إبل عطشى مطلقة العنان، ليس ثمة ما يكدر عليها شربها، فكأنما لشدة زحامها يدك بعضها بعضًا، وإنما خُصَّ بالذكر يوم ورودها؛ لأن الإبل ربما بعُدت عن الماء فصلصلت أحشاؤها من شدة الحر، وبمجرد ما شارفت مشاربها غادر الزحام المكان، وورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾[٤٧] فدلالة الإبل عن باقي الحيوانات الأخرى؛ لأنها عُرِفت بحنينها لأوطانها؛ لكثرة ترحالها وهيامها بورود الماء، فكأنَّ أكبادها حرى لا تنطفئ وقوله أيضًا «**إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ**»[٤٨].

وهذه المقولة في حقيقة أمرها وعظٌ وإرشاد ومما عزز دلالتها أسلوب التكرار اللفظي تشجيعًا للوحدة، ونبذ الفرقة.

والغاية المنشودة من هذه الاستدلالات هي قيمة المعالجة والقصد المؤثر؛ لذا نلحظ الأفكار الناضجة جلية التي استقاها المبدع من عموميات الحياة المعاشة.

الخاتمة

فلله الحمدُ على حسن توفيقه وإتمامه، وبركة عونهِ وإحسانه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد (ﷺ) لا شك أنَّ الخطاب يتشكل من الأرضية الثقافية لقائله ومقدار ما يمتلكه من معارف وفنون وآداب، إذا أسلمنا أنَّ اللغة مكتسب اجتماعي يلتقطه الفرد من العالم المحيط به وهذا ما جسدهُ كتاب نهج البلاغة الذي مثَّل شخصية قائلهِ، الَّذي يشير إلى حضور معانٍ لآيات القرآن الكريم؛ لأنهُ (عليه السلام) تربى في حجر النبوة، وشهد نزول بيان ربه لذا نجدُ أنّ ألفاظه وتراكيبه تتسم بالاتساع والشمولية في دلالاتها التي أملتها ظروف المجتمع الإسلامي، وأنَّ لأصوات هذهِ الألفاظ والتراكيب دلالات إيحائية لا تقلُّ عمقًا عن الدلالات اللفظية، فهي تزيد المعنى وتوثقه.

أما أهم ما استنتجته هو استعماله لبعض الألفاظ والأدوات التي يكون لها أكثر من معنى؛ لتتماشى مع تغير المجتمعات على مر العصور، وبصدد دراستنا لدلالة الحيوان وجدت كثرة الشواهد التي ذكرت مختلف الحيوانات والطيور؛ لإيجاد موائمة بين المخلوقات التي تفتقر إلى الكمال العقلي ومخلوقات فضلها الله على سائر الخلق من باب العِبرة والوعظ والإرشاد.

الهوامش

١. سورة الإسراء: آية ٨٨.

٢. ينظر دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص ١٩.

٣. سورة الجن: آية ٧٣.

٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٣٦٦.

٥. سورة إبراهيم: آية ٧.

٦. سورة الفاتحة: آية ١.

٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج ٢، ص ١٣٠.

٨. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ١٣- ١٤.

٩. المقتضب، للمبرد، ج ٤، ص ٣١١.

١٠. الكتاب، لسيبويه، ج ١، ص ٥.

١١. سورة آل عمرا ن، آية: ٦١.

١٢ روضة المتقين في شرح من لا يحضرهُ الفقيه، محمد تقي المجلسي ت ١٠٧٠هـ، تحقيق السيد حسين الموسوي وآخرون، ج ٥، ص ٤٩.

١٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٦، ص ١٧١.

١٤. سورة آل عمران، آية ٣١.

١٥. سورة الشورى، آية: ٢٣.

١٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٥، ص ٣٠٨.

١٧. المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٧٠.

١٨. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ص ١٦٩.

١٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج١، ص ٥١.

٢٠. سورة العنكبوت، آية: ٤١.

٢١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٧٠٨.

٢٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١، ص ٥٣٨.

٢٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٢٥٧.

٢٤. المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

٢٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، ج١، ص ٩٨.

٢٧. المصدر نفسه، ج١، ص ٩٩.

٢٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ١٧١.

٢٩. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ١٣.

٣٠. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٧٦٣.

٣١. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢٢.

٣٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ١٢٩.

٣٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٨٨.

٣٤. جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٣٩.

٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ج ٣، ص ١٥.

٣٦. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٦٧٥.
٣٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠١.
٣٨. المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية، عبد الهادي عبد الرحمن، ص ٢٢٩.
٣٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٣٣.
٤٠. الكتاب، سيبويه، ص ٢١٩.
٤١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٢، ص ٢٢٦.
٤٢. المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٤.
٤٣. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، العدد ١، ص ٥.
٤٤. الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي حسين الفحام، ص ١٦٥.
٤٥. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسماعيل، مجلة رسالة القلم، ط ٢، ص ٢٢.
٤٦ شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي حديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، مجلد ٧، ص٥.
٤٧. سورة الواقعة، الآيات: ٥٤- ٥٥.
٤٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج٢، ص ٢٩٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، عباس علي حسين الفحام، دار مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٢ م.

٢. جرس الألفاظ، ودلالته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، مطبعة الحرية- بغداد، ١٩٨٠ م.

٣. دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ط١، دار دجلة، ٢٠٠٩م.

٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠ هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي، الناشر بنياد فرهنك، مطبعة مهر قم، د. ت.

٥. شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، د. ت.

٦. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ط ١، جامعة اليرموك الأردن، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠ م.

٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

٨. الكتاب، سيبويه، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣١٦ هـ.

٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٨ هـ- ١٩٣٩م.

١٠. المثل في نهج البلاغة (دراسة تحليلية فنية)، عبد الهادي عبد الرحمن، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠١٣.

١١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ هـ.

١٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

١٣. المقتضب، محمد بن يزد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق للمبرد، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٦- ١٣٨٨هـ.

١٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة بيروت، ١٩٩٨ م.

١٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، ط٢، مطبعة مهر، قم، ١٤١٤هـ.

الصحف والمجلات

١. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، عدد١، دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية، ١٤٣٣هـ.

٢. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسماعيل، مجلة رسالة القلم، ط، دار إصدارات، قم المقدسة، ١٤٣٢هـ.